

محمد علي باشا

(تابع ما قبله)

كتب المستر باركر في اول يونيو سنة ١٨٣٠ الى النصل الجنرال لدولته في الاستانة العلية يقول :

قال محمد علي في ديوانه بالاس انه ينتظر مجيء الاسطول العثماني عليه لان السلطان طلب منه مرافقة مصر الثلاثة. وانه هو اي محمد علي غير عازم على تسليم هذه المرافقة بل هو قادر على حمايتها . ولا ادري هل نقل اليه هذا الخبر حقيقة من الاستانة او هو ذكره من عندو ليسر غور رجاله لانه لم يمضي الا ايام قليلة منذ جاءه فرمان التثبيت من الباب العالي له ولابنه وكتب قبل ذلك في ١٨ مايو يقول :

ان الاستعداد للحرب قائم على ساق وقدم مع ان فرمان التثبيت جاء الى الباشا والى ابنه يوم عيد الاضحى في الاسبوع الماضي

وكتب الى امير البحر ملككم في الثالث من شهر يوليو يقول :

اخبرني الباشا منذ بضعة ايام ان عمق مدخل المرفأ سبع وعشرون قدماً وان اكبر البوارج الحربية لا تحتاج الى اكثر من خمس وعشرين قدماً ولذلك لم يجد صعوبة في ادخال اكبر بوارجهم الى المرفأ واخراجها منه اذا كان البحر رحوماً ثم قال لي : " اني لا اقتنع بشيء ما لم اخبره بنفسه ولا احكم باستحالة شيء ما لم اره بالاخبار انه غير ممكن الا ترى ان امير البحر برون الفرنسي كان يمكنه ان يدخل المرفأ بسفنه كلها حتى الاوريون ولكن قيل له ان الماء في المدخل غير كاف فصدق هذا القول وذهب الى ابي قير فالتفت عمارته " وثق ايها الاميرال ان مقدرة محمد علي تفوق الوصف وقد بنيت حكمي هذا على ما عرفت بنفسي من الاحاديث التي حدثني بها على انفراد . (وكان المستر باركر عارفاً باللغة العربية متقناً لها)

وكتب اليه قبيل ذلك يقول :

لا بد من ان يكون قد بلغك مجيء المسيو له بارون ديلور الى هنا ومعهد هدايا كثيرة الى الباشا لكي يطلب مستني لتصرف باسم مدينة باريس وقد سمح له الباشا باخذها ولما اطلعني على ذلك قال لي ولكنني ابقيت مسألة الكرنك للانكليز وهي اجمل المسلات كلها وبقي المسيو له بارون نحو شهرين قبلما اذن له في مقابلة الباشا واخيراً نال منه ما جاء

لاجله وجاءت سفينة الدرودير منذ شهر ومحمولها الف طن لكي تنقل احدى المثلتين
وفي السادس والعشرين من الشهر الماضي اتى برتو افندي وزير الخارجية السابق فقابلهُ
الباشا بالاكرام الواجب لمقامه. والغرض من مجيئه اقتناع الباشا برضى السلطان عنهُ واخذ الجزية
وما يعطيه اياه الباشا هبة "بخشيش". وكان يرغب بكلتي عنهُ بالاس قنال لي انه من
نوابغ رجال الاستانة

ثم كتب في ٤ سبتمبر يقول: عاد برتو افندي الى الاستانة ومعه خمسون الف ريال هبة
له وخمس مئة الف ريال للسلطان من اجل ولاية كريت التي انعم بها على الباشا. والباشا يتمد
الآن لارسال خمسة آلاف جندي الى كريت وسيتمها بخمسة آلاف جندي اخرى وانا
واثق انه يجعل الاروام يلقون سلاحهم من غير حرب ثم يحسن معاملتهم حتى لا يتدموا على ما فعلوا
وقد شرع في بناء بارجة اخرى محمولا ١١٠ مدافع وسمّاها مدينة الاسكندرية وذبحت
جاموسة يوم تسميتها على جاري العادة

وكتب في ٧ سبتمبر الى لورد برودو يقول: لقد سرّ الباشا سرورا عظيما بولاية كريت وهو
يتكلم الآن عما يتوعد لها من الاصلاح فهو عازم ان يقيم فيها المناثر (الفتارات) والترسانات
ويزرع الحراج لكي يبني من اشجارها السفن وتجرب بخشيا ومن غرضه ان ينشئ مجلسا في الجزيرة
يدخل فيه شيوخ الاروام ومن كلامه لي في هذا الصدد قوله "وسترى ان حالهم تكون
اصح في حكمي منها في حكم بلادهم الجديد" والمرجح عندي ان الاختيار يبريد قوله
وكتب الى لورد برودو في اول يوليو سنة ١٨٣٠ يقول: ان الباشا هم جدا يعرف ما
آلت اليه حملة فرنسا على بلاد الجزائر ويحسب ان الادي سيقاومهم يسالة وعتده ان فرنسا
لا تستطيع الاستيلاء على الجزائر في اقل من سنة من الزمان

ومنذ ايام قال في ديوانه قولا اهتم له الناس اهتماما عظيما وهو "انه وردت الي اخبار
سرية من الاستانة مفادها ان السلطان عازم على الابقاع بي ولكن الله اكبر وسنرى على من
تدور الدائرة". ثم امر ان يرثى بالف رجل لانشاء طاية امام فصره في راس التين وارسل
واستدعى ابراهيم باشا وامره ان يتعرض جنوده وبني الطوايي وامر شيندي المهندس ببناء
ابراج اللغراف^(١) من الاسكندرية الى دمياط لارسال الاخبار وصارت السفن تخرج
للاستطلاع كل يوم فتلقي اهالي الاسكندرية وصاروا يتوقمون ابتداء القتال كل يوم ولكن

(١) يراد بالابراج اللغراف هنا الابراج التي كانت تبني وتنقل الاخبار بها من برج الى آخر بواسطة
التمران او الاعلام

لم تضي ثمانية ايام حتى ثبت ان السلطان غير ناوٍ شيئاً مما قاله الباشا وان غرض الباشا من ذلك اقتناع السلطان انه على تمام الالهة لمقاومته

وكتب الى لورد برودو في ١٠ فبراير سنة ١٨٣١ يقول: أنزلت بارجة من يوارج الباشا الكبرى في ٣ يناير فشمّل السرور جميع الناس وكان الباشا في مصر فأرسل خبير تزولها اليه بالتلغراف واسم هذه البارجة محمد علي ومحمولها ١١٠ مدافع وهي مصفحة بالنحاس . وعندة بارجتان مثلها اسمهما ابرهيم والاسكندرية وبارجة اخرى محمولها ٨٠ مدفعاً وسيشرح في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون أكبر يوارج الدنيا اي انها تكون أكبر من بارجة تبني الآن في الامتانة بنحوقدم او قديمين . وقد تم انشاء الترسانة وجلب اليها المادة من المحمودية وانتشت الثون الكبيرة لوضع الجيوب والبضائع

لما اتيت الى مصر سنة ١٨٢٦ كنت اسمع كل احد يقول ان الباشا لا يستطيع ان يبني ستة اشهر اخرى ما لم يجر الخراب على نفسه لانه شارع في اعمال كبيرة لا يستطيعها ثقله المال لديه ولا بد له من ان يتركها ولكنه اتما وعمل اعمالاً اخرى اعظم منها اضعافاً مضاعفة . والحقيقة اننا لانعلم مقدرة المانية ولا بد من اننا كافية لكل الاعمال التي باشرها . وفي اليوم التالي لانزال البارجة محمد علي أنزل الى البحر كورفت جميل محموله ٢٦ مدفعاً يراد ارساله هدية الى السلطان

وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣١ يقول: ” وضع الخشب لبناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٣٦ مدفعاً وطول جسر قاعدتها مثاق قدم وعرض صهرها نحو ستين قدماً . وقد بلغ قطر الباشا هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندة زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وهي على غاية النمو . والمقدار القليل من الافيون الذي استخرجه في العلم الماضي كان جيداً جداً . وقد نجحت زراعة شجر التوت ايضاً لتربية دود الحرير ولا بد من ان تصير مصر من البلدان التي تصدر الحرير . ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكر والروم . والمدبفة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي احذية الجنود والبحارة كلهم اي قدر ما يصنع للجنود الانكليزية“

وانشرت الكوليرا في مصر سنة ١٨٣١ ومات بها ٣٠٠٠ من الجنود ونحو ٩٠٠ من البحارة وكان اخو المستر باركر وكيلاً له في القاهرة فهرب الى دمياط وكتب اليه المستر باركر من الاسكندرية في ١١ سبتمبر يقول دل التلغراف اليوم على ان عدد الوفيات في القاهرة كان امس ٤٩ اما هنا فالتقرير الرسمي عن وفيات الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من الشهر هو

٤٤ و ٣٨ و ٤٠ وقد ثبتت لي الآن ان انكوليرا تعدي بالأسس وان الفصد علاج لها. ونصحني لك ان تعتني بأمر معدتك وامعائك واذا أصبت ان تفصد حالاً ولا شبهة عندي ان ابنتي نجت بذلك من الموت

وكتب إليه قبل ذلك في ٥ اوغسطس يقول: انت الباشا بقي حتى اليوم ينكر فائدة الكورتينا للرعاية من الكوليرا ولكن لما رأي فتكها يجنوده لجأ الى قناصل الدول ليختاروا خمسة منهم يؤمنون لجنة لمنع انتشار الكوليرا وقد جعلوا في رئيساً لهذه اللجنة رغباً عني لاسميا واني واثق انه لا فائدة من الوسائل التي ستخذها لذلك

ويجحت كريت في حكم محمد علي فحدثته نفسه ان يستولي على سورية ويفعل فيها ما فعله في كريت وكتب المستر باركر حينئذ الى المستر ابوت فنصل انكارا في بيروت في ٢ يونيو سنة ١٨٣١ يقول: "لم تبقى شبهة في ان الباشا قاصد حصار عكا"

وفي خريف تلك السنة شاع في مصر ان محمد علي يقصد الاستيلاء على سورية وتحدث الناس بهذا الامر خاصتهم وعامتهم وامر ابراهيم باشا بعمل زيتة في مصر مدعيًا انه جاء اباد فرمان ولاية عكا من الاستانة والحقيقة ان محمد علي عرض على السلطان مالا طائلاً لبوليصة سورية فلم يجب طلبه ثم ادعى ان عبد الله باشا والي عكا اهانه فبعث جنوده لتأديبه وكتب المستر باركر في الرابع من فبراير سنة ١٨٣٢ يقول:

لا بد لمحمد علي من فتح عكا والا دارت الدائرة عليه وقد مضى عليه الآن ثلاثة اشهر وجنوده حاصرة تلك المدينة ولا دليل علي انه سيمتكن من فتحها قريباً ولقد عرض على الباب العالي مئة الف كيس جزية اذا اعطاه اباله عكا ودمشق. اما سفنه الحربية فقد تعطلت ولا يمكن اصلاحها في اقل من اربعة اشهر او خمسة. ثم ذكر جامع الكتاب ان عكا فتحت في ٢٢ مايو سنة ١٨٣٢ بعد ان مات كثيرون من الجنود المصرية بسبب البرد وسار ابراهيم باشا على دمشق بثلاثين الف مقاتل ففتحت ابوابها له وارتد محمد باشا بالجنود العثمانية الى حمص فبعث ابراهيم باشا الى هناك واوقع به وقتل الفين من الجنود العثمانية واسر ثلاثة آلاف ويقال ان عدد الجنود العثمانية كان ٣٥ الفا وقتل من جنود ابراهيم باشا مئتان وجرح مئتان. ولما بلغ المدائن السورية خبر انكسار الجنود العثمانية تسابقت الى فتح ابوابها لابراهيم باشا فاقرو والي حلب ابراهيم بك بالهدى في ولايته وفتح انطاكية باحد عشر رجلاً

ثم فصل جامع الكتاب حروب ابراهيم باشا في بلاد الشام وما يليها تماماً لا غرض لنا باستيفائنا الآن وكان المستر باركر لم يرض دولته حينئذ فاحاله اللورد بامرستون على المعاش في ٥

فبراير سنة ١٨٣٣ وعين بدلاً منه الكولونيل باتريك كبل قنصلاً جنرالاً في مصر . وعاد المستر باركر إلى السويدية وهي على أربع ساعات من انطاكية وكان قد بنى داراً بديعة فيها وغرس حولها جنة غناء ونزل ابرهيم باشا في هذه الدار لما دخل انطاكية وكتب اليه في ١٢ اغسطس سنة ١٨٣٢ يقول انه بات فيها واكل من اثمارها الشهية وفضل السويدية على جنان الدنيا بعد دمشق

وفي مكاتب المستر باركر التالية اشارات كثيرة الى ما فعله ابرهيم باشا في بلاد الشام وسأني على خلاصتها في جزء تال

نبأ من اليابان

لا يختلف اثنان في ان اليابان صارت تعد في مصاف الدول الاوربية الكبرى مثل فرنسا وانكلترا والمانيا وروسيا من حيث جنديتها وبحريتها وانتظام حكومتها واهتمام شعبها بالصناعة والتجارة. وهذا الشاؤ لم تلبثه دولة اخرى شرقية ولا بلنته الدول الغربية الا بشق الانفس وبمد مئآت من السنين ففي المثال الذي نضربه للموكتنا وحكمانا ورجالنا عموماً حينما تحمهم على الجري في خطة الاوربيين والقذوة التي يجب ان تقندي بها اذا اردنا الفوز العاجل . ولقد كنا نود ان نمضي الى تلك البلاد ونبحث عن اسباب ارتقائها فوقع لنا بالامس كتاب ان لم يغزو عن الرحلة فخر غير ما نعمل بها الى ان يقضها لنا الله كنية المستر النرد ستد بن المستر وليم ستد محرر مجلة المجلات الانكليزية بعد ان طاف في تلك البلاد ولبي جلة رجالها وباحثهم في احوال بلادهم . وقد شهد له الوزير ايتو الياباني الشهير انه نطق بالصدق وتكرر الحقائق لم يظريء اليابانيين ولا بخمهم حقهم فرأينا ان نعتد عليه في تقرير بعض الحقائق التالية وقدمنا لذلك مقدمة مسببة مما نشرناه في المقتطف في بعض السنين الماضية يتبين منها تاريخ اليابان الى ان دخلت دور العمران الجديد

المقدمة

ما من شرقي انعم نظره في تاريخ المشرق ورأى ما آلت اليه حال ممالكو بعد اتصال الاوربيين بها او جال في ممالك اوربياً ورأى اركان عمرانها وانبساط ظل الراحة والرفاهة في ارجائها الا تمنى ان ينهض الشرقيون كلهم الى مجارة الاوربيين في فضائل عمرانهم ومساقتهم الى كل ما يتخذ منه ليعود اليهم سالف مجددهم ويجاروا ام المغرب في نهضتهم الحديثة وقد